11920 ـ أحاديث المفاضلة بين العلماء والشهداء

السؤال

ما صحة هذا الحديث : (مداد حبر العالم أقدس من دم الشهيد) ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الأحاديث الواردة في تفضيل العلماء على الشهداء ، أو تفضيل مداد العالم على دم الشهيد جاءت عن جماعة من الصحابة ، ولكن بأسانيد واهية وبطرق شديدة الضعف أو موضوعة : نذكرها هنا باختصار :

1- عن أبي الدرداء رضي الله عنه : يرويه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (1/150)، وفي إسناده إسماعيل بن أبي زياد ، قال عنه ابن حبان : دجال . ولذلك ضعفه العراقي في "تخريج الإحياء" (ص/5)

2- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : يرويه أبو نعيم في "أخبار أصبهان" (1718) ، والديلمي في "مسند الفردوس" ، وفي إسناده إسماعيل بن أبي زياد السابق أيضا . ورواه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (1/81) من طريق أخرى وقال : " وهذا لا يصح ، قال أحمد بن حنبل : محمد بن يزيد الواسطي لا يروي عن عبد الرحمن بن زياد شيئا ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الثقات " انتهى.

3- عن ابن عمر رضي الله عنهما : يرويه الديلمي في "مسند الفردوس" ، وفي إسناده إسحاق بن القاسم وأبوه : لا يعرفان . ويرويه الخطيب في "تاريخ بغداد" (2/193) ، ومن طريقه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (1/80) وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الخطيب : رجاله كلهم ثقات غير محمد بن الحسن ، ونراه مما صنعت يداه " انتهى.

4- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما : يرويه السهمي في "تاريخ جرجان" (ص/91، 222) ، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (1/81) ، وقال : " هذا لا يصح : أما هارون بن عنترة فقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، يروي المناكير التي يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها . ويعقوب القُمِّي : ضعيف " انتهى.

5- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه : يرويه الرافعي في "تاريخ قزوين" (3/481) ، وفي إسناده عبد الملك بن مسلمة : يروي المناكير ، وكذلك فيه عبد الله بن لهيعة .

6- عن عمران بن حصين رضي الله عنه : أخرجه المرهبي في "فضل العلم" – كما نقل ذلك السيوطي في "الدر المنثور" (3/423) – ، وهو في "جزء ابن عمشليق" (ص/44) بإسناده . وفيه أحمد بن محمد بن القاسم مؤذن طرسوس لم أقف له على

ترجمة .

7- عن أنس بن مالك رضي الله عنه : يرويه ابن النجار عنه كما ذكر ذلك السيوطي ، وذكره في "لسان الميزان" (5/225) من طريق : جراب الكذاب .

8- عن ابن عباس رضي الله عنهما : أخرجه في "جزء ابن عمشليق" (ص/45) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهذا إسناد واهٍ بمرة .

9- عن أبي هريرة رضي الله عنه : يرويه السمعاني في "أدب الإملاء والاستملاء" (ص/181) وفي إسناده المظفر بن الحسين شيخ السمعاني لم أقف له على ترجمة.

وخلاصة الكلام أن الحديث لا يصح ، قال فيه الخطيب البغدادي : موضوع ، وقال الإمام الذهبي رحمه الله: "متنه موضوع " انتهى. "ميزان الاعتدال" (3/517)، وذكره الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (ص/17) ، والعامري في "الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث" (ص/203) ، وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (حديث رقم/4832): " وهو الذي يميل إليه القلب " انتهى. يعني أنه موضوع . وكذا قال الشيخ محمد رشيد رضا في "مجلة المنار" (3/698)

ثانيا :

الذي يظهر أن ما ورد من الفضائل لدم الشهيد ، في حد ذاته ، لم يرد مثله في مداد العلماء ، بل لا نعلم حديثا صحيحا في فضل مداد العلماء في نفسه ، فضلا عن تفضيله على دم الشهيد ، وأما دم الشهيد فقد ثبت فيه أن يأتي يوم القيامة : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، وأن الشهيد يغفر له بأول قطرة منه .. ، إلى آخر ما ورد في ذلك ، لكن هذا شيء ، وتفضيل الشهيد نفسه على العالم شيء آخر .

قال المناوي رحمه الله :

" والإنصاف أن ما ورد للشهيد من الخصائص ، وصحَّ فيه من دفع العذاب ، وغفران النقائص : لم يرد مثله للعالم لمجرد علمه ، ولا يمكن أحدا أن يقطع له به في حكمه ، وقد يكون لمن هو أعلى درجة ما هو أفضل من ذلك .

وينبغي أن يعتبر حال العالم وثمرة علمه وماذا عليه ، وحال الشهيد وثمرة شهادته وما أحدث عليه ، فيقع التفضيل بحسب الأعمال والفوائد ، فكم من شهيد وعالم هون أهوالا ، وفرج شدائد ، وعلى هذا فقد يتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء ، والعالم الواحد أفضل من كثير من الشهداء ، كل بحسب حاله وما ترتب على علومه وأعماله " انتهى.

"فيض القدير" (6/603)

وقال ابن القيم رحمه الله :

" هذه – تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء ، وعكسه ـ المسألة كثر فيها الجدال ، واتسع المجال ، وأدلى كل منهما بحجته ، واستعلى بمرتبته .

والذي يفصل النزاع ويعيد المسألة إلى مواقع الإجماع :

الكلام في أنواع مراتب الكمال .

وذكر الأفضل منهما .

والنظر في أي هذين الأمرين أولى به وأقرب إليه ؟

فهذه الأصول الثلاثة تبين الصواب ، ويقع بها فصل الخطاب .

فأما مراتب الكمال فأربع : النبوة ، والصديقية ، والشهادة ، والولاية .

وقد ذكرها الله سبحانه في قوله : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما)

فأعلى هذه المراتب النبوة والرسالة ، ويليها الصديقية ، فالصديقون هم أئمة أتباع الرسل ، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة .

فإن جرى قلم العالم بالصديقية ، وسال مداده بها ، كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية .

وإن سال دم الشهيد بالصديقية وقطر عليها كان أفضل من مداد العالم الذي قصر عنها. فأفضلهما صِدِّيقهما .

فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة ، والله اعلم .

والصديقية : هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علما وتصديقا وقياما ، فهي راجعة إلى نفس العلم ، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول ، وأكمل تصديقا له : كان أتم صديقية. فالصديقية شجرة ، أصولها العلم ، وفروعها التصديق ، وثمرتها العمل .

فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد ، وأيهما أفضل ؟! " انتهى.

"مفتاح دار السعادة" باختصار (1/297-299)

وهذا التفصيل – في ظننا – أولى وأقرب من الجزم في المفاضلة بين العلم والشهادة كعملين مجردين كما جرى إطلاقه لدى كثير من العلماء .

والله أعلم .